

تفسير ابن كثير

هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ
وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ

وقوله تعالى : (هو الذي بعث في الأميين رسولا منهم) الأميون هم : العرب كما قال

تعالى : (وقل للذين أتوا الكتاب والأمين أسلمتم فإن أسلموا فقد اهتدوا وإن تولوا فإنما

عليك البلاغ والله بصير بالعباد) [آل عمران : 314] وتخصيص الأميين بالذكر لا

ينفي من عداهم ، ولكن المنة عليهم أبلغ وأكد ، كما في قوله : (وإنه لذكر لك ولقومك

([الزخرف : 44] وهو ذكر لغيرهم يتذكرون به . وكذا قوله : (وأنذر عشيرتك

الأقربين) [الشعراء : 214] وهذا وأمثاله لا ينافي قوله تعالى : (قل يا أيها الناس إني

رسول الله إليكم جميعا) [الأعراف : 158] وقوله : (لأنذركم به ومن بلغ) [الأنعام

: 19] وقوله إخبارا عن القرآن : (ومن يكفر به من الأحزاب فالنار موعده) [هود : 17

[، إلى غير ذلك من الآيات الدالة على عموم بعثته صلوات الله وسلامه عليه إلى جميع

الخلق أحمرهم وأسودهم ، وقد قدمنا تفسير ذلك في سورة الأنعام ، بالآيات والأحاديث

الصحيحة ، والله الحمد والمنة . وهذه الآية هي مصداق إجابة الله لخليله إبراهيم حين دعا لأهل مكة أن يبعث الله فيهم رسولا منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة . فبعثه الله سبحانه وتعالى وله الحمد والمنة ، على حين فترة من الرسل ، وطموس من السبل ، وقد اشتدت الحاجة إليه ، وقد مقت الله أهل الأرض عربهم وعجمهم ، إلا بقايا من أهل الكتاب - أي : نذرا يسيرا - ممن تمسك بما بعث الله به عيسى ابن مريم عليه السلام ; ولهذا قال تعالى : (هو الذي بعث في الأميين رسولا منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وإن كانوا من قبل لفي ضلال مبين) وذلك أن العرب كانوا قديما متمسكين بدين إبراهيم الخليل عليه السلام فبدلوه وغيروه ، وقلوبه وخالفوه ، واستبدلوا بالتوحيد شركا وباليقين شكاً ، وابتدعوا أشياء لم يأذن بها الله وكذلك أهل الكتابين قد بدلوا كتبهم وحرفوها وغيروها وأولوها ، فبعث الله محمدا صلوات الله وسلامه عليه بشرع عظيم كامل شامل لجميع الخلق ، فيه هدايتهم ، والبيان لجميع ما يحتاجون إليه من أمر معاشهم ومعادهم ، والدعوة لهم إلى ما يقربهم إلى الجنة ، ورضا الله عنهم ، والنهي عما يقربهم إلى النار وسخط الله . حاكم ، فاصل لجميع الشبهات

والشكوك ، والريب في الأصول والفروع . وجمع له تعالى ، وله الحمد والمنة جميع
المحاسن ممن كان قبله ، وأعطاه ما لم يعط أحدا من الأولين ، ولا يعطيه أحدا من
الآخرين ، فصلوات الله وسلامه عليه دائما إلى يوم الدين .